



(آبِدَةُ عُمَرِيَّةٌ خَالِدَةٌ) بُنِيَ بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ الْفَارُوقِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَثْنَاءَ زِيَارَتِهِ لِمَدِينَةِ دَرْعَةِ سَنَةِ (14 هـ) "أَذْرِعَاتٍ" أَوْ "يَدْرِعَاتٍ" هُوَ الاسمُ الْقَدِيمُ لِمَدِينَةِ "دَرْعَةٍ"، وَهِيَ مِنْ أَقْدَمِ مَدَنِ الْعَالَمِ الْمَأْهُولَةِ بِالسُّكَّانِ، وَقَدْ عَاصَرَتْ مَدَنَ "بَيْنُوَى وَبَابِلِ وَرُومَاً"، وَتَعُودُ جُذُورُهَا إِلَى الْعَصْرِ الْحَجَرِيِّ، وَتَفِيدُ الْمَصَادِرُ التَّارِيَخِيَّةُ أَنَّ الْإِنْسَانَ سُكِّنَهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ قَبْلِ الْمِيلَادِ، وَ"الْأَمْوَارِيُّونَ" هُمُ الْأُولُو مَنْ اسْتَقَرُّ فِيهَا.

وَكَانَتْ "دَرْعَةٍ" جَزءًا مِنْ مَمَالِكَ عَدَّةٍ مِنْهَا: (الْأَشْوَرِيَّةِ، وَالْكَلْدَانِيَّةِ، وَالْفَارَسِيَّةِ)، وَكَانَتْ الْعَاصِمَةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ لِلْمُمْلَكَةِ الْرُّومَانِيَّةِ.

قَالَ يَاقُوتُ الْحَمْوَى فِي مَعْجمِ الْبَلَادِ: "حَوْرَانَ كُورَةٌ وَاسِعَةٌ مِنْ أَعْمَالِ دَمْشَقِ فِي الْقَبْلَةِ، ذَاتٌ قُرَىٰ كَبِيرَةٌ وَمَزَارِعٌ، قَصْبَتُهَا بُصْرَىٰ، وَمِنْهَا أَذْرِعَاتٌ وَإِزْرَعٌ وَغَيْرُهُمَا".

تَقْعِدُ مَدِينَةُ "دَرْعَةٍ" فِي أَقْصَى جَنُوبِ الْجَمْهُورِيَّةِ السُّوْرِيَّةِ بِالْقُرْبِ مِنْ حَدُودِ الْمُمْلَكَةِ الْأَرْدِنِيَّةِ، وَهِيَ الْمَنْفَذُ الْحَدُودِيُّ الْوَحِيدُ فِي جَنُوبِ الْبَلَادِ، وَتَبْعُدُ عَنِ الْعَاصِمَةِ دَمْشَقَ (100) كِمٌ، وَمَسَاحَتُهَا (4000) كِمٌ.

وَتَنْقَسِمُ مَدِينَةُ "دَرْعَةٍ" إِلَى قَسْمَيْنِ رَئِيسَيْنِ هُمَا:

- 1- "الْبَلَد": وَهِيَ الْبَلَدَةُ الْقَدِيمَةُ، وَفِيهَا الْمَسْجِدُ الْعُمْرِيُّ الَّذِي بُنِيَ بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- 2- "الْمَحَاطَةُ": نَسْبَةٌ لِمَحَاطَةِ قَطَارِ الْحِجَازِ الَّذِي أَسَسَهُ الْعُثْمَانِيُّونَ (وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ).

وَتَضُمُّ هَذِهِ الْمَحَافِظَةَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَدِينَةِ "دَرْعَةٍ" عَدَّةُ مَدَنٍ رَئِيسَيَّةٍ أَهْمَهُمَا:

- 1- نَوْىٰ: مَدِينَةُ "الْإِمَامِ النَّوْوَىِ" رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.
- 2- إِزْرَعٌ: مَدِينَةُ "الْإِمَامِ ابْنِ قَيْمِ الْجَوزِيِّ" رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.
- 3- بَصْرَى الشَّامِ: مَدِينَةُ الْإِمَامِ الْحَافِظِ الْمَحْدُثِ عَمَادِ الدِّينِ أَبْوَالْفَدَاءِ "ابْنِ كَثِيرٍ" الْأَذْرِعِيِّ الدَّمْشِقِيِّ (صَاحِبِ التَّفْسِيرِ)، وَهِيَ الْمَدِينَةُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي نَكَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبْلِ بِبُصْرَىٰ" (رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ: 7118)

- 4- دَاعِلٌ: (دَائِيلٌ سَابِقًا) وَتُعْرَفُ بِمَدِينَةِ الشَّهَادَةِ (وَذَلِكَ لِمَا قَدَّمَتْ مِنْ شَهَادَةِ أَيَّامِ الْاِحْتِلَالِ الْفَرَنْسِيِّ لِسُورِيَا)، وَكَذَلِكَ أَيَّامِ الْقَصْفِ الْإِسْرَائِيلِيِّ لِهَا فِي السَّبعِينِيَّاتِ)، وَهِيَ الْمَدِينَةُ الْعَرِيقَةُ الَّتِي عَسَكَرَ فِيهَا الصَّاحِبِيُّ الْجَلِيلُ الْقَادِيُّ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ

رضي الله عنه بجيشه سنة (15هـ) قبيل معركة اليرموك، وتحتوي على عديد من الآثار الرومانية، وفيها المسجد العمري الكبير الذي كان معبداً رومانياً.

5- جَاسِم: مدينة تاريخية سميت بهذا الاسم نسبة إلى "جاسم بن آرام بن "سام" بن نبي الله "نوح" عليه السلام، جعلها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد انتهاء معركة اليرموك منطلقاً لفتح بيت المقدس، ومنها انطلق أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه إلى بيت المقدس، واستخلف على الناس معاذ بن جبل رضي الله عنه، وعليه فيمكن لأهل "درعاً" أن يخروا ويقولوا: "مِنْ دَرْعَا انطَلَقَتِ الْجَيُوشُ إِلَّا سَلَامٌ لِفَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمِنْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَتَنطَلِقُ الْجَيُوشُ لِتَحرِيرِهِ"، وهي مدينة الشاعر المشهور "أبو تمام" حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت: 231هـ).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه في "درعاً"

دخل الجيش الإسلامي إلى مدينة "درعاً" فاتحاً بقيادة أمين الأمة "أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه" في سنة 14هـ ، المواقف(635)، وتم تحريرها من الروم الذين كانوا يحكمونها، وعقد رضي الله عنه صلحًا مع أهلها.

وحيث قدم الخليفة "عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى "درعاً" آخر سنة (14هـ) استقبله أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه وأهل "درعاً" بالغناء والضرب على الدفوف، ثم أمر رضي الله عنه ببناء مسجد لهم في وسط المدينة ليكون منارة للعلم والهدى.

المساجد العُمرية بمحافظة درعاً:

إذا أردنا الحديث عن المسجد العمري في "درعاً البلد" فإننا لا بد أن نذكر أشقاءه من المساجد العُمرية المنتشرة بمحافظة "درعاً" والتي تعد من أهم المحطات التي تؤرخ لمراحل تاريخية عرفتها المدينة ومنها:

المسجد العمري في مدينة "درعاً البلد":

هو أحد المساجد الأثرية المنتشرة في محافظة "درعاً" ، ويقع وسط البلدة القديمة، وهو بناء أثري يعود باسمه إلى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أمر رضي الله عنه ببنائه عندما زار المدينة سنة (14هـ) ،

وأشرف على بداية بنائه جمع من الصحابة منهم: أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه، وقد حافظ المسجد على شكله القديم حتى دخلت عليه عمليات الترميم الحديثة وغيّرت بعضًا من معالمه القديمة، إلا أن هذه الترميمات والتعديلات لم تطل منارته وواجهته القبلية، وأصبح المسجد بمخططه الحديث عبارةً عن نسخة مصغرة عن "الجامع الأموي" بدمشق من حيث احتواه على أروقة بدعة، وحرم واسع للصلوة، و صحن خارجي مكشوف، و مئذنة شامخة.

والداخل إلى المسجد من بوابته الشمالية (الرئيسية) تظهر أمامه أربعة أروقة تحيط بصحن المسجد، والرواق الجنوبي هو أكبرها، حيث يعتبر إيوان الصلاة والحرم والمحراب امتداده شرقاً وغرباً، أما سقف المسجد فيشبّه جميع الأبنية القديمة في "درعاً" إذ يرتكز على "الفناطر الحجرية" تليها بشكل معاكس حوامل بارزة من كل جهة، وتليها "عوارض" أكثر بروزاً للربط بين الحوامل وتغطية الفراغات، ويعلو العوارض طبقة من القطع الحجرية الصغيرة المنحوتة والمخلوطة بالكلس، ثم طبقة سميكة من التراب.

وللمسجد ثلاثة أبواب رئيسية يفتح أكبرها وهو الباب الشمالي على الأروقة الداخلية للمسجد، أما البابان الغربي والشرقي فيفتحان على فضاءات خارجية.

المسجد العمري في مدينة "إزرع"

يقع المسجد العمري في وسط مدينة "إزرع" في منطقة أثرية بين كنيستي "مار الياس" و"مار جرجس" القديمتين، بُني أيام

ال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المسجد العمري في "بصري الشام"

يقع المسجد العمري المعروف محلياً بمسجد العروس في مدينة "بصري الشام" وسط البلدة القديمة، وعلى مقرية من القلعة الرومانية الأثرية.

بني أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويعرف بالمسجد العمري نسبة إليه، ويتألف من صحن مكشوف تتوسطه "ميسنة" مربعة، داخلها نافورة ماء، ويحيط بها عمود رخامي وتاج دوري ارتفاعه متراً.

هذا، ويوجد في مدينة "بصري" عديد من المساجد الأثرية القديمة كمسجد "فاطمة" الذي تعود عمارته إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري (العصر الأيوبي)، ويقع بين "الكاتدرائية" و "دير الراهب بحيرا"، وتعود مئذنته التي يصل ارتفاعها إلى (19) متراً إلى عهد السلطان المملوكي الناصر محمد أمر الأمير أيبوب بن مجد الدين عيسى النجراني.

ومسجد "مرك الناقة"، وله أهمية خاصة في تاريخ العمارة الإسلامية، حيث يعتبر أقدم مبنى أثري في سوريا، أنشئ ليكون مدرسة دينية، ولا يوجد نماذج أقدم منه قائمة في سوريا، ويعود تاريخ بنائه إلى بداية العهد الإسلامي، ويقع في الزاوية الشمالية الشرقية من مدينة بصرى.

ويعتقد أن هذا المسجد أقيم في المكان الذي بركت فيه ناقة النبي ص عند زيارته لمدينة "بصري" مع عمه (أبو طالب) قبلبعثة، وهذه الرواية يؤكدها العلامة ابن كثير في كتابه السيرة النبوية، والعلامة علي بن محمد بن حبيب الماوردي في كتابه أعلام النبوة، والعلامة تقى الدين أحمد بن على المقرizi في كتابه إمتناع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والماتع، حيث قال رحمه الله: "... خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المرة الأولى وهو ابن ثنتي عشرة سنة، فلما نزل بصرى من الشام، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له...".

التاريخ الثقافي للمسجد العمري بـ "درعاً البلد"

تميزت "درعاً" حضارياً وثقافياً عبر التاريخ، حيث شهدت أرضها الدورات الحضارية المتعاقبة، ويکاد لا يخلو مكان في "درعاً" إلا وبه الآثار والأوابد الشاهدة على تواصل الثقافة والحضارة.

وقد أنجبت هذه المدينة المئات من العلماء والأدباء والساسة والقياديين وكان المسجد العمري هو منطلقهم العلمي والثقافي، فمنهم من وفد إلى المسجد للالتقاء بعلمائه، ومنهم من أمّه وخطب فيه، أو درس ودرس فيه، **ومن أشهرهم:**

1- الإمام النووي أبوذكريya محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي، علامة الفقه والحديث، مولده ووفاته في مدينة "نوى" (40كم إلى الغرب من درعاً) وإليها نسبته.

2- ابن قيم الجوزية الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعوي نسبة إلى مدينة "إزرع" (35كم إلى الشمال من درعاً)، وهو من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، تلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهذب كتبه ونشر علمه، وسُجِّن معه في قلعة دمشق.

3- ابن كثير الدمشقي الإمام الحافظ المحدث إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري نسبة إلى مدينة "بصري" (45كم إلى الشرق من درعاً) ثم الدمشقي، أبو الفداء: حافظ ومؤرخ وفقير، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل إلى دمشق سنة: (706هـ)، ورحل في طلب العلم، ومن أشهر مصنفاته: البداية والنهاية، شرح صحيح البخاري، طبقات الفقهاء الشافعية، تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير ابن كثير، توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة: (774هـ).

4- إسحق بن إبراهيم الأذرعي، أحد الثقات من عباد الله الصالحين، حدث عن محمد بن الخضر بن علي الرافعي، ويحيى بن أيبوب بن ناوي العلاف، وأبي زرعة، وأبي عبد الرحمن النسائي، وأبي الحسن الرازي وغيرهم، وقال أبوالحسن الرازي: كان الأذرعي من أجيال أهل دمشق وعبادها وعلمائها، ومات يوم عيد الأضحى سنة (344هـ).

5- الإمام شهاب الدين، أبو العباس، الأذرعي، نزيل حلب ومتفيها وشيخ الشافعية فيها، ولد في "درعا" سنة (708هـ)، وهو شيخ البلاد الشمالية، وفقيه تلك الناحية، ومتفيها، والمشار إليه بالعلم، قال عنه الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "أمتع الله بيقائه، وأشتهرت فتاوياه في البلاد الحلبية".

6- القاضي محمد بن أبي العز الأذرعي، ولد في "درعا" سنة: (663هـ) ودرس بالمدرسة الظاهرية، وكان إماماً فقيهاً شاعراً مفتياً، توفي بدمشق سنة: (722هـ).

7- ابن وهب الأذرعي قاضي القضاة شمس الدين ابن وهب الأذرعي، ولد في "درعا" سنة: (595هـ) وعاش بدمشق، وسمع من حنبل وابن طبرزد والكندي وابن مل عبد والموفق الحنبلي، وتفقه ودرس وأفتى، وصار مشاراً إليه في المذهب. قال عنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: "كان من العلماء الأخيار كثير التواضع قليل الرغبة في الدنيا". توفي في دمشق سنة: (673هـ)

8- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرعي أبوالعباس ابن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد، كان إماماً مفتياً فاضلاً تصدر بالجامع الحاكمي وناب في الحكم، ومات سنة: 741هـ

9- مفتى الحنابلة الصدر شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن سالم بن أبي الهيجاء الأذرعي الحنبلي ابن قاضي نابلس بدمشق، مات بدمشق ودفن بقاسيون سنة: (747هـ)، سمع من ابن البخاري ثلاثيات مسنده أحمد وبعض المشيخة.

10- ومن أبرز المعاصرين الذين وفدوا إلى المسجد العمري الإمام الشيخ "أحمد نصيب المحاميد" من قرية نصيب (10كم إلى الشرق من درعا)، التحق بحلقة الشيخ علي الدقر (ت: 1362هـ)، وأخذ من محدث الشام الحافظ محمد بدر الدين الحسني (ت: 1354هـ)، وقرأ عليه من صحيحي البخاري ومسلم، وأخذ على شيخه الشيخ محمود العطار (ت: 1362هـ) مسنده الإمام الشافعى وسمع على شيخه أبوالخير الميدانى (ت: 1380هـ)، حديث الرحمة المسلسل بالأولية الإضافية و المسلسل بالدمشقيين، توفي رحمه الله تعالى في دمشق سنة (1421هـ)

11- ومن أبرز من وفد إلى المسجد ودرَّس فيه مفتى "درعا" العلامة الشيخ عبد العزيز بن جبر أبو زيد الأذرعي رحمه الله تعالى (ت: 1423هـ)، ولد ونشأ في مدينة "درعا"، ورحل إلى دمشق وطلب العلم فيها على علامتها الشيخ علي الدقر، ومحدث الشام ومتفيها العلامة بدر الدين الحسني رحمه الله تعالى.

هذا ولا يزال المسجد العمري يؤدي دوره الرائد في مدينة "درعا"، فالداخل إليه يتňهر بتَحَلُّق طلاب العلم حول مشايخهم، ويطرُب سمعه بأصوات الناشئة في حلقات القرآن الكريم، وهذا عهد من أهالي مدينة "درعا" لخلفية المسلمين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن هذا المسجد سيبقى كما أراده رضي الله عنه منارة للعلم والهداي، وينطلق من أعلى منارته صوت الحق قائلاً: "الله أكبر، الله أكبر...لا إله إلا الله".